الأوضاع السياسية فى حلب فى عصرسلاجقة الشام
(٤٧٠ -٥٠٩ هـ /١٠٧٧ - ١١١٥ م)

إعداد

أ.د. أسامة زكى زيد

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المتفرع

كلية الآداب – جامعة طنطا

كان لظهور دولة السلاجقة كقوة عظمى فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى خلال القرن الحادى عشر الميلادى (القرن الخامس الهجرى) اثار هامة فى ازدياد قوة المسلمين وتأهبهم لمواجهة أعدائهم. ولكن لم تلبث وأن تغيرت الأحوال فى المنطقة مع أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وعلى وجه الخصوص بدءا من عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م عندما توفى السلطان ملكشاه فأصبحت هذه الدولة السلجوقية فى حالة من الفوضى والاضطرابات والانقسام السياسى والأسرى بسبب ما حدث من منازعات وصراعات بين أبناء السلطان السلجوقى ملكشاه بعد وفاته. فلم يحل عام ١٠٩٦ م/ ٤٨٩ هـ حتى كانت الدولة السلجوقية منقسمة إلى خمس ممالك متنافسة هى سلطنة فارس " أصبهان" وعلى رأسها السلطان بركياروق ومملكة خراسان وعلى رأسها السلطان أبو الحرث سنجر ومملكة حلب وعلى رأسها رضوان بن تتش ومملكة دمشق وعلى رأسها شمس الملوك دقاق بن تتش وأخيرا سلطنة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى وعلى رأسها قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش. ومما يؤسف له أن هذه الأحداث الأخيرة قد تزامنت مع وصول الحملة الصليبية الأولى إلى المنطقة فساعدها على تأسيس إماراتها الأربع .

والسلاجقة هم أخلاط من الترك وكان مقدمهم رجل يقال له دقاق. وكان له ابن يدعى سلجوق قد خرج مهاجرا وأسلم وأقام بنواحى بخارى وصار يغزو الترك. وواصل أولاده سياسة ابيهم فى غزو الترك وأحرزوا عليهم انتصارات عديدة. وذاع صيت السلاجقة حتى أصبحوا مصدر رعب لدول ما وراء النهر. وكان من أشهر سلاطينهم فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى/ القرن الحادى عشر الميلادى السلطان آلب أرسلان ثم ابنه جلال الدين أبو الفتح ملكشاه الذى كان يخطب له من

أقصى بلاد الترك حتى بلاد اليمن . وقد نجح السلاجقة فى عهد هذين السلطانيين فى السيطرة على كثير من ممتلكات الفاطميين فى منطقة الشرق الأدنى وعلى رأسها القدس ودمشق وحلب وغيرها. وقد أعلنوا طاعتهم للخلافة العباسية (١)

واذا كانت معظم مدن بلاد الشام الساحلية منها والداخلية قد خضعت لسيطرة الصليبيين فإن مدينة حلب ظلت طوال فترة الوجود الصليبى بالمنطقة والتى تقترب من قرنين من الزمان لم تطأ أرضها أقدام الصليبيين ، وكانت درعا واقيا للمسلمين فى البلدان المجاورة ولعل ذلك مرجعه إلى متانة أسوارها وقوة تحصيناتها وموقعها الاستراتيجى.

وتقع مدينة حلب شمال بلاد الشام ، وكانت قاعدة لجند قنسرين (٢) وهى مدينة واسعة عظيمة وكثيرة الخيرات. وقلعتها يضرب بها الأمثال فى الحصانة لأن مدينة حلب فى وطأ من الأرض وفى وسط ذلك الوطأ جبل عال مدور ، صحيح التدوير،والقلعة مبنية على رأسه. ولها خندق كبير ينبع منه الماء (٣). وهى بائنة الارتفاع ومعدومة الشبه والنظيرفى القلاع الأخرى (٤). وتلقبت مدينة حلب بالشهباء البيضاء لبياض ارضها لأن غالب أرضها من الحجارة الحوارة وترابها مائل الى البياض، واذا أشرف عليها انسان ظهرت له بيضاء (٥). ويوجد بسور القلعة ابراج عالية وبها مشهد يقصده بعض الناس يقال أن نبى الله الخليل إبراهيم عليه السلام كان يتعبد به(٦). وكانت أسوار مدينة حلب تجدد بصفة دائمة على مر عصورها على حد قول الرحالة ابن بطوطة (٧).

وقد اتفق بعض المؤرخين على أن السبب فى تسمية مدينة حلب بهذا الأسم إنما يرجع الى أن الخليل إبراهيم عليه السلام كان يقيم بها ويرعى غنما له حول أحد التلال الموجود بها . وكان له وقت يحلب فيه غنمه أيام الجمع ويتصدق به. وكان الناس يأتون اليه فى ذلك الوقت فيقولون " حلب ابراهيم ... حلب ابراهيم " فسميت حلبا . بينما يرى البعض الآخر من المؤرخين والرحالة أن حلب اسم عربى لقب به تل بالمدينة، وكان إبراهيم عليه السلام إذا أتى من رحيله ينتهى الى هذا التل فيضع فيه أثقاله ويقيم به. وكان الضعفاء والفقراء من أهل المناطق المجاورة اذا سمعوا بمقدمه أتوه لينالوا من بره . فكان يأمر الرعاء بحلب ما معهم طرفى النهار فيتنادى الضعفاء " إبراهيم حلب ... إبراهيم حلب" فغلبت هذه التسمية على التل. ولما عمرت المدينة تحت التل سميت باسمه (٨). وهناك قول ثالث بأن حلب سميت باسم من بناها وهو حلب بن المهر بن حيض بن عمليق من العماليق ، وكانوا إخوة ثلاثة بردعه وحمص وحلب وكل منهم بنى مدينة فسميت بأسمه (٨+) .

وكان لمدينة حلب أبواب عديدة اشتهرت بها، أولها مما يلى القبلة وهو باب قنسرين وسمى بذلك لأنه يخرج منه إلى جهة قنسرين ثم يتلو هذا الباب من جهة الشرق " باب العراق" وسمى بذلك لأنه يخرج الى جهة العراق. وهناك أيضا باب الأربعين وقيل سبب تسميته بهذا الاسم أنه خرج منه فى إحدى المرات أربعون ألفا ولم يعودوا. وقيل لأنه كان موجودا بالمسجد داخل هذا الباب أربعون شريفا وقيل أربعون محدثا أو من العباد (٩) .

ويضيف ابن الشحنة بأن هناك بابين آخرين أحدهما يسمى " باب المقام" لأنه يخرج منه إلى جهة مقام إبراهيم عليه السلام. والثانى يسمى باب أنطاكيه لكونه يخرج منه إلى جهة انطاكيه (١٠). أما بالنسبة إلى الأوضاع السياسية فى حلب قبيل الفترة موضوع البحث فكانت تشتعل أحيانا بالفتن والاضطرابات عندما كانت خاضعة لحكم بنى مرداس

(١١)،فضلا عن تصديها للغارات التى كانت تشن عليها من قبل الفاطميين الموجودين فى مصر من ناحية ومن البيزنطيين من ناحية أخرى ، والسلاجقة من ناحية ثالثه.

وكان لكثرة هجمات الأتراك على بلاد الشام بصفة عامة ومدينة حلب على وجه الخصوص أثر كبير فى تحول محمود بن نصر بن مرداس صاحب حلب(٤٥٧ – ٤٦٧ هـ/١٠٦٥ – ١٠٧١ م) إلى الولاء للسلاجقة والخلافة العباسية فى بغداد، ففى عام ٤٦٣ هـ/١٠٧١ م جمع محمود بن نصر أهل حلب وقال لهم :

" هذه دولة جديدة ومملكة شديدة، ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لأجل مذهبكم والرأى أن نقيم الخطبة قبل أن يأتى وقت لاينفعنا فيه ذلك ". ولما رأى محمود بن نصر الموافقة التامة من أهالى مدينة حلب أرسل الى السلطان السلجوقى آلب أرسلان(٤٥٨ – ٤٦٥ هـ/ ١٠٦٦ – ١٠٧٢ م) يعلنه بموافقته على إقامة الخطبة للخليفة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢ –٤٦٧ هـ/١٠٢٩ –١٠٧٤ م) على منبر حلب وقطع الخطبة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله وذلك فى التاسع عشرمن شهر شوال من هذا العام (١٢) .

ولكن يبدو أن السلطان آلب أرسلان لم يكتف بإقامة الخطبة للخليفة العباسي في حلب وإنما أراد أن يزيد من خضوع أمراء بني مرداس له ولذا نراه في السابع عشر من جمادي الآخرة عام ٤٦٣ هـ/١٠٧١ م قد فرض الحصار بجيشه على مدينة حلب وسأل صاحبها محمود بن نصر بن مرداس أن يخرج اليه فأبي فاشتد الحصار علي المدينة. ولما أدرك محمود بن نصر أن الأمر سوف يفلت من يده خرج ليلا مع أمه ودخلا على السلطان آلب أرسلان يقدمان الولاء والطاعة فاستقبلهما السلطان وأحسن اليهما وخلع علي صاحب حلب وربطه بالتبعية فأصبح يحكم حلب باسم السلطان آلب أرسلان واستقرت الأوضاع بذلك داخل حلب (١٣)

ولكن يبدو أن الهدوء الذي احيط بحلب لم يستمر طويلا ، فسرعان ما استفحلت الاضطرابات بعد مقتل حاكمها محمود بن نصر عام ٤٦٧ هـ/١٠٧٥م وتولي أخيه سابق عرش البلاد وعندئذ انقسمت الجبهة الداخلية فى حلب إلي فريقين أحدهما يضم بني كلاب ويؤيد سابق ليكون حاكما علي المدينة ، بينما أيد الفريق الآخر أخاه وثاب ويضم ألفا من العناصر التركية تحت قيادة أمير الأتراك بالمدينة وقامت حرب أهلية بين الطرفين انتهت بانتصار جبهة سابق فترتب علي ذلك أن سار بعض زعماء بني كلاب الي السلطان ملكشاه السلجوقي (٤٦٥ – ٤٨٥ هـ/١٠٧٣ – ١٠٩٢م) يطلبون منه المساعدة ضد سابق حتي تستقر الأوضاع في حلب ويستتب الأمن والهدوء بها(١٤). وقد استقبلهم السلطان ملكشاه بحفاوة وأنكر ما تم بحلب من أحداث الشغب والفتن والاضطرابات ووعدهم بالمساعدة فأقطع بلاد الشام لأخيه تاج الدولة تتش وأمره بالمسير إلي الشام في أوائل عام ٤٧٠ هـ/١٠٧٧ م لفتحه وفتح كل من مصر وبلاد المغرب (١٥).

ولما وصل تاج الدولة تتش الي بلاد الشام نزل علي حلب وحاصرها مع جموع بني كلاب ، ثم لحق به شرف الدولة مسلم بن قريش أمير الموصل (١٦) في عسكر كثيف بناء علي أوامر السلطان ملكشاه لمناصرة وتأييد قوات تاج الدولة تتش. وظل الحصار لمدة ثلاثة شهور وعشرين يوما بدءا من الرابع من ذي القعدة عام ٤٧١هـ /١٠٧٨م وقد لحق بأهل حلب خلال هذه المدة مجاعة شديدة ، وكان القتال علي مدينة حلب متصلا وكان هوي شرف الدولة مسلم مع الأمير سابق بن نصر حاكم حلب فكان يمده بالمؤن والأسلحة سرا دون علم تاج الدولة تتش بقصد أن تصمد المدينة أطول فترة ممكنة دون أن يتمكن تاج الدولة تتش من الاستيلاء عليها فيسهل له بعد ذلك السيطرة عليها. ولكن يبدو أن شرف الدولة مسلم قد شعر بافتضاح أمره أمام تتش في مساندة أهالي مدينة حلب فاستأذن في الرحيل فوافقه تتش علي ذلك (١٧) وعندئذ اضطر تاج الدولة تتش أن يفك الحصار المفروض حول مدينة حلب بسبب شدة صمود الأهالي ومقاومتهم (١٨). ولأن افسيس صاحب دمشق قد استنجد به للوقوف معا ضد عساكر الفاطميين فى مصر الذين يحاصرون المدينة. فسرعان ما لبى تاج الدولة تتش النداء لنصرة افسيس . ولما سمع جيش الفاطميين بقرب وصول جيش تتش لاذوا بالفرار ، وكانت هذه فرصة ذهبية للسلاجقة في تملك دمشق عام ٤٧٢ هـ/١٠٧٩م بعد أن تم مقتل صاحبها افسيس (١٩).

وفى نفس العام كاتب سابق بن محمود صاحب حلب شرف الدولة مسلم بن قريش ليسلمه حلب انقاذا لأهلها من شدة الفقر والأضطرابات والفتن الموجودة بداخلها خاصة بعد تكرار حصارها المرة تلو الأخرى من قبل تاج الدولة تتش. وكان شرف الدولة مسلم يواصل مد أهالى المدينة بالغلات أثناء فترات الحصار. ولذلك عندما وصله نداء سابق

بن محمود توجه بقواته إلى حلب ونزل بها فى السادس عشر من ذى الحجة. ولما اقترب منها اغلقت أبوابها فى وجهه، وكان عند سابق أخواه فلم يمكناه من تسليم المدينة رغم أن أهلها كانوا حريصين على تسليم حلب اليه. وكان رئيس حلب ومقدم الأحداث بها هو الشريف حسن بن هبة الله الهاشمى المعروف بابن الحتيتى ، وكان ولده قد خرج مع عسكر سابق بن محمود لقتال بعض الأتراك المخالفين فوقع أسيرا فى يد أحد التركمان صاحب أحد الحصون بنواحى حلب فأرسله إلى شرف الدولة مسلم الذى سرعان ما تفاوض مع ابن الحتيتى على أن يطلق سراح ابنه مقابل تسلمه حلب فوافق وتم هذا الأمر وأصبح شرف الدولة مسلم صاحبا لمدينة حلب فى السادس والعشرين من ذى الحجة عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م(٢٠).

ولكى يؤكد شرف الدولة مسلم شرعية وجوده فى حكم حلب كتب الى السلطان السلجوقى ملكشاه يطلب منه الموافقة على تسليم حلب إليه على أن يحمل إليه كل عام ثلاثمائة ألف دينار، فأجابه السلطان إلى ذلك وكتب له توقيعا بها ، وفى نفس الوقت أراد شرف الدولة مسلم ارضاء سابق بن محمود فأعطاه إقطاعا بعشرين ألف دينار على أن يخرج من البلد فوافق ولكن وثب أخواه عليه فقتلاه واستوليا على قلعة حلب وعندئذ اتجهت قوات شرف الدولة مسلم بن قريش تجاه القلعة وفرضت الحصار عليها بالمنجنيق وحشود من العسكر، وظل الوضع هكذا حتى استسلمت حامية القلعة صلحا. وبذلك يكون قد انتهى حكم اسرة بنى مرداس فى حلب (٢١) .

وجدير بالذكر ، كان شرف الدولة مسلم قد فوض الشريف الحتيتى فى رئاسة حلب أثناء تواجده فى إمارته الأم فى الموصل لمتابعة ما قد يصل إليه فى علاقاته العدائية ضد سليمان بن قتلمش ولكن كان الشريف الحتيتى

وغيره من أصحاب شرف الدولة مسلم يتوجسون خوفا من الصلح الذى يمكن أن يتوصل اليه كل من شرف الدولة مسلم وسليمان بن قتلمش فيتفرغ لهم شرف الدولة ويقبضهم ويستأصل أموالهم. ولذلك قرروا الإيقاع بينهما حتى يضمنا انشغال شرف الدولة عنهم (٢٢). ولذلك تواصلت غارات سليمان بن قتلمش صاحب قونيه على حلب وأعمالها وانتهت باشتباكات عنيفة بين قوات سليمان بن قتلمش وشرف الدولة مسلم أدت إلى هزيمة عسكر حلب ومقتل صاحبها شرف الدولة مسلم فى ١٥صفر٤٧٨هـ/١٠٨٥م (٢٣). وانفرد الشريف أبو على الحسن بن هبة الله الهاشمى بالحتيتى بتدبير حلب وسالم بن مالك العقيلى بقلعة المدينة (٢٤). وقد وجد سليمان بن قتلمش فى مقتل شرف الدولة مسلم فرصة ذهبية لمحاصرة حلب والاستيلاء عليها فأرسل الى ابن الحتيتى يطلب منه تسليم حلب إليه فطلب منه ابن الحتيتى أن يستمهله حتى يكاتب السلطان ملكشاه. ولما طال انتظار سليمان بن قتلمش سار تجاه حلب بجيوشه وحاصرها فى مستهل ربيع الأول من نفس العام وظل محاصرا لها حتى الخامس من ربيع الآخر فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها. (٢٥) .

ونظرا لأن ابن الحتيتى كان يدرك تماما مدى الكره الذى يظهره أهل حلب له وأنهم يكرهون ولايته فأخذ يعمر له قلعة الشريف المنسوبة اليه وبنى عليها سورا دائرا وفصل بينها وبين المدينة بسور وخندق خوفا على نفسه من أهل حلب واقتطعهاعن المدينة (٢٦). وقد اتفق الشريف ابن الحتيتى وسالم بن مالك صاحب القلعة الكبيرة على أن يكاتبا السلطان ملكشاه يبذلان له تسليم حلب اليه ويحثانه على الوصول أو إرسال نجدة تدفع هجمات قوات سليمان بن قتلمش المتتالية على حلب. ولما طال انتظار صاحب حلب فكر فى أن يرسل إلى تاج الدولة تتش يستدعيه الى

حلب ليسلمه إياها . وعندما تلقى تتش هذا الخبر سرعان ما حشد جموعه وخرج من دمشق فى محرم عام ٤٧٩ هـ/ابريل ١٠٨٦م ودارت معركة حامية الوطيس بين قوات سليمان بن قتلمش وقوات تاج الدولة تتش عند قنسرين وانتهت بهزيمة قوات سليمان وقتله فى ١٨ صفر عام ٤٧٩هـ/ مايو ١٠٨٦م (٢٧). وقيل أنه عندما يأس من احراز انتصارات على قوات تتش اخرج سكينا كانت معه وقتل بها نفسه (٢٨).

كيفما كان الأمر ، بعد أن أحرز تاج الدولة تتش انتصاراته على صاحب قونيه سليمان بن قتلمش أخذ يحاصر حلب وضيق على أهلها بعد أن امتنع ابن الحتيتى عن تسليم المدينة إليه بحجة أنه تلقى كتابا من السلطان ملكشاه يفيد بتجهيز العسكر اليه ، وعندئذ اضطر تاج الدولة تتش إلى فك الحصار من حول حلب ورحل عنها ثم عاد إليها مرة أخرى لمنازلتها . وكان ابن الحتيتى قد سلم كل برج من أبراج مدينة حلب إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه . وكان أحد الأبراج تحت حماية رجل يدعى ابن الرعوى كان ابن الحتيتى قد أغلظ له وأوحش له بكلام فدعاه ذلك إلى أن أرسل إلى تاج الدولة تتش يستدعيه للحضور وواعده ليلة يرفع الرجال الى السور بحبال . وفى الموعد المحدد نفذ ابن الرعوى الخطة المتفق عليها وملك تتش مدينة حلب وقد ساعده فى ذلك قوم من الأحداث ونادوا بشعار تاج الدولة تتش حتى تسامع الناس فنادوا بشعاره فى البلد جميعه و كان ذلك فى ليلة السبت ٢٦ربيع الأول عام ٤٧٩هـ/يونيو ١٠٨٦م. وبعد ذلك اتجه تاج الدولة تتش إلى قلعة الشريف حيث كان ابن الحتيتى موجودا بها فى نفر قليل من أتباعه فطلب الأمان فأمنه تتش وتسلم القلعة من ابن الحتيتى ثم سار إلى القلعة الكبيرة فأمتنع صاحبها سالم بن مالك أن يسلمها إليه وعندئذ اضطر تتش إلى فرض الحصار حولها لمدة سبعة عشر يوما

ولما بلغه الخبر بقرب وصول قوات أخيه السلطان ملكشاه فك الحصار ورحل عن حلب الى دمشق وترك بعض اصحابه مع نائبه بقلعة الشريف مع عدد من عساكره ،ولكنهم كانوا قد اشاروا بالهجوم على قوات أخيه منتهزين فرصة التعب الذى لحق بهم من وراء سفرهم الطويل ولكنه رفض بشدة وقال " لا أكسر جاه أخى الذى مستظل بظله " وواصل تاج الدولة تتش طريقه إلى دمشق (٢٩).

ولما وصل السلطان ملكشاه تسلم حلب من رئيسها ابن الحتيتى ، وعندئذ طلب الأهالى من السلطان أن يعفيهم من حكم ابن الحتيتى فأجابهم الى ذلك. أما القلعة فقد رفض صاحبها سالم بن مالك أن يسلمها فأمر السلطان ملكشاه أن يرمى اليها رشقا واحدا من السهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب من كثرة السهام الموجهه الى القلعة فأضطر صاحبها أن يسلمها مقابل أن يعوضه السلطان بقلعة جعبر(٣٠). وفى العام التالى ٤٨٠هـ/١٠٨٧م أقر السلطان السلجوقى ملكشاه مملوكه قسيم الدولة آقسنقر على حكم حلب وترك معه أربعة آلاف فارس فأحسن السيرة بها وأنصف الرعية وتتبع المفسدين فأبادهم وأظهر فيها العدل وزود البلاد بالبضائع الكثيرة من جميع الأقطار(٣١). وقبل أن يغادر السلطان ملكشاه حلب فى طريقه إلى الرى وصل إليه ابن الحتيتى يلتمس العودة ، ولما علم الأهالى بذلك تظلموا منه فلم يأذن له السلطان فيما التمسه (٣٢). وولى على قلعة حلب رجل يدعى نوحا (٣٣).

وقد تمتعت حلب فى عهد قسيم الدولة آقسنقر بمزيد من الهدوء والأمان ولعل ذلك يبدو بصورة جلية عندما كان صاحب حلب يشارك فى استقرار الأوضاع السياسية للقوى الاسلامية المجاورة أو لتحقيق

أهداف استراتيجية هامة قد يراها تخدم مصالح حلب فى المقام الأول. ففى عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م خرج على رأس قواته وسار إلى قلعة شيزر ، وكان صاحبها ابن منقذ ، وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب. ثم خرج فى العام التالى على رأس بعض من قوات حلب عندما علم أن هناك بعضا من اللصوص يقطعون الطرق ويقومون بعمليات السلب والنهب فتتبعهم وقبض عليهم وقتلهم فأمنت الطرق بولايته(٣٤). كما أن قسيم الدولة آقسنقر قد ساعد تاج الدولة تتش ، تلبية لأوامر السلطان ، فى فتح حمص عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م بعد أن كتب ولاة الشام إلى السلطان ملكشاه يشكون ما يلقونه من خلف بن ملاعب بحمص من قطع الطريق وإخافة السبيل. ولما تم فتح حمص تسلمها قسيم الدولة إلى أن ورد عليه امر السلطان بتسليمها الى تاج الدولة تتش(٣٥).

ومما لاشك فيه إذا كانت الأمور غير مستقرة فى حلب حينذاك ما كان قسيم الدولة قد فكر فى إنجاز كل هذه الأمور بقيادته بأن يرسل من ينوب عنه ليتفرغ بنفسه لاستقرار أمور الجبهة الداخلية فى حلب ويقضى على مابها من فوضى وفتن وما كان السلطان ملكشاه أن يطلب منه معاونة تاج الدولة تتش فى الاستيلاء على حمص. هذا فضلا عن الأمن والطمأنينة التى كان يتمتع بها ألاهالى فى حلب من جراء حسن سياسته وسيرته وكثرة الإحسان إليهم وانتشار العدل بينهم إلى جانب الرخص الشامل والأمن الواسع (٣٦) كما أن حسن سياسته فى تتبع المفسدين قد عاد على الدولة بالخير الوفير فصار دخل البلاد اليومى ألفا وخمسمائة دينار(٣٧).

كيفما كان الأمر، مات السلطان ملكشاه مسموما فى بغداد فى منتصف شوال عام ٤٨٥هـ/ ديسمبر ١٠٩٢م . وعندما وصل الخبر إلى أخيه تاج

الدولة تتش وهو فى دمشق أخذ يجهز نفسه لطلب السلطنة ، فجمع عساكره وسار إلى حلب وبها صاحبها قسيم الدولة آقسنقر واتفق الطرفان أن ينضم إليهما ياغى سيان صاحب أنطاكيه وبوزان صاحب الرها لمساعدته فى الوقوف أمام قوات منافسه بركياروق بن ملكشاه والاستحواذ على مملكته(٣٨). ولما أدرك هذان الأميران استفحال أمر تاج الدولة تتش بعد أن استولى على ديار بكر وأذربيجان فارقاه وسارا إلى بركياروق للانضمام إليه وبقى تتش وحيدا حتى اضطر إلى العودة إلى الشام فلحقه بوزان وقسيم الدولة عند تل السلطان بالقرب من حلب واقتتلوا وانهزموا ووقع قسيم الدولة أسيرا فى أيدى تتش وأحضر بين يديه وقال له " لو ظفرت بى ما كنت صنعت . قال كنت أقتلك ، فقال له فأنا أحكم عليك بما كنت تحكم على " فقتله ، وكان ذلك فى جمادى الأولى عام ٤٨٧هـ /١٠٩٤م (٣٩). أما بوزان وكربوغا أمير الموصل فقد اعتصما فى حلب انتظارا للنجدة التى سوف تصل إليهما من بركياروق ، هذا فى الوقت الذى وصل فيه تاج الدولة تتش بعسكره إلى حلب فتحير أهلها فيما يفعلونه فبادرقوم من الأحداث وفتحوا أحد أبواب المدينة المعروف بباب أنطاكيه فدخل تتش منه برفقة أصحابه وعساكره فنزل بقلعة الشريف وسلمها إلى تتش فبات فيها وراسله نوحا والى القلعة الكبيرة وسلمها إليه فطلع إليها تاج الدولة تتش فى الحادي عشر من جمادى الأولى عام ٤٨٧هـ/مايو١٠٩٤م(٤٠) ثم قبض على بوزان وضرب رقبته واعتقل كربوغا فى حمص وعين أبا القسم بن بديع وزيرا بحلب ثم غادر البلاد فى طريقه لمحاربة بركياروق (٤١) . وعندما وصل تاج الدولة تتش هم ذان كتب إلى ولده رضوان يستدعيه من دمشق وأمره أن يحضر معه من تخلف بالشام من العسكر ولكن لم يمهله القدر لرؤية ابنه اذ التقت قواته مع قوات بركياروق فى المحرم عام ٤٨٨هـ/يناير ١٠٩٥م بالقرب من الرى ودارت

حرب ضروس بين الطرفين انتهت بمقتل تاج الدولة تتش وعدد كبير من خواصه (٤٢) وكان مقتل تتش على يد أحد مماليك قسيم الدولة آقسنقر أخذا بثأر سيده (٤٣) .

وكان رضوان بن تاج الدولة تتش أثناء خط سير المعركة فى طريقه إلى الرى تلبية لنداء أبيه ولكن عندما وصل الأنبار بلغه نعى أبيه فرجع إلى حلب فتسلمها من وزير أبيه أبى القاسم بن بديع الذى كان متوليا أمر حلب وقلعتها (٤٤). وكان تتش قبل وفاته قد أوصى أصحابه وأتباعه بطاعة ابنه رضوان قبل أن يغادر حلب فى طريقه إلى قتال بركياروق . وكان رضوان حينئذ يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما(٤٥). وكان مع رضوان عندما دخل حلب أخواه الصغيران أبوطالب وبهرام ، وقد نجح جناح الدولة حسين أن يلحق برضوان فى حلب بعد أن سلم من المعركة التى كان يحارب فيها فى صفوف تاج الدولة تتش. ولما وصل حلب نجح فى أن يستميل المغاربه الذين كانوا أكثر أجناد قلعة حلب فلما انتصف الليل نادى هؤلاء المغاربه بشعار رضوان وأحتاطوا على أبى القاسم بن بديع فأرسل إليه رضوان يطيب قلبه فأعتذر فقبل عذره ، وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها حيث كانت الخطبة قبل ذلك قد استمرت باسم أبيه لمدة شهرين. وأصبح جناح الدولة حسين مدبرا لأمور حلب وأحسن السيرة بها (٤٦). ولكن يبدو أن رضوان قد تخوف من وجود أخويه الصغيرين بهرام وأبى طالب فقتلهما (٤٧).

وجدير بالذكر كان دقاق بن تاج الدولة تتش يحارب مع أبيه ضد بركياروق وعندما لاقى تتش حتفه كان دقاق ضمن الفارين من ميدان القتال ووصل الى حلب وأقام بها مدة يسيرة ، وراسله الأمير ساوتكين الخادم ،

وكان نائبا لتاج الدولة تتش بدمشق ، يخبره بأنه قد حفظ له مدينة دمشق وقلعتها واستدعاه ليتسلمها. ويبدو أن دقاق قد خاف من أخيه رضوان فخرج من حلب سرا دون أن يعلم أحد (٤٨) ولكن تمكنت عيون رضوان من أن تعلم بخبر خروج أخيه فأرسل رضوان اتباعه خلفه فلم يدركوه. ونجح دقاق أن يدخل دمشق واستقبله ساوتكين وأجلسه فى منصب أبيه السلطان تتش وأخذ له العهد. ولكن يبدو أن دقاق قد خاف على مستقبله فى حكم البلاد فتآمر ضد ساوتكين وقتله (٤٩).

وإذا كان رضوان قد فشل فى أن يقتفى أتباعه أثر أخيه دقاق وأن يدركوه قبل أن يدخل دمشق فلم يصبه الإحباط واليأس فأخذ يخطط من أجل الأستيلاء على دمشق لأنه كان مائلا إلى دمشق ومحبا لها ومؤثرا للعودة إليها ولا يختار عليها سواء على حد تعبير ابن القلانسى لمعرفته بمحاسنها وترعرعه فيها(٥٠). ففى عام ٤٨٩هـ/١٠٩٨م خرج من حلب على رأس قواته متجها إلى دمشق لإنتزاعها من أخيه دقاق ولكن لما اقترب رضوان منها أدرك حصانتها وامتناعها وتأكد بعجزه عنها فسار إلى القدس ليأخذه فلم يتمكن أيضا فعاد إلى حلب مرة أخرى ومعه ياغى سيان صاحب أنطاكية وأتابكه جناح الدولة حسين (٥١) ولكن فارقه ياغى سيان وقصد دمشق وتقابل مع دقاق وأخذ يحسن له محاصرة حلب فجمع دقاق عساكره فى نفس العام وسار معه ياغى سيان. فلما علم رضوان بذلك الأمر أرسل إلى سقمان بن أرتق التركمانى وهو بسروج يستنجد به فأتاه فى خلق كثيف من التركمان فسار بهم رضوان نحو أخيه والتقيا عند قنسرين ودار القتال بين الطرفين فى حرب ضروس أسفرت عن هزيمة دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وأموالهم وعاد رضوان إلى حلب بعد أن وقع الأخوان إتفاقية على أن تكون الخطبة لرضوان على منابر دمشق قبل أخيه دقاق (٥٢).

وعلى الرغم أن رضوان قد نجح فى أن يخطب له على منابر دمشق طبقا للإتفاقية المبرمة مع دقاق إلا أن فكرة سيطرته على دمشق لم تفارق ذهنه وظلت تشغل كل تفكيره حتى أصبح يفكر فى الإعتماد على قوى خارجية تسانده فى تحقيق رغبته وقد جاءته الفرصة عندما أرسل إليه الخليفة الفاطمى فى مصر المستعلى بالله (٤٨٧- ٤٩٥هـ/١٠٩٤- ١١٠١م) ووزيره الأفضل بن بدر الجمالى عام ٤٩٠/١١٠١م يطلبان منه إقامة الخطبة للخليفة المستعلى على منابر حلب وأعمالها فأبدى رضوان فى بداية الأمر موافقته على ذلك بأن يدعى للمستعلى أولا وللأفضل من بعده ثم يتم الدعاء له لأنه كان يأمل فى أن تتحد قواته مع عساكر الفاطميين والذهاب الى دمشق وأخذها من أخيه دقاق ولكن بعد مرور أربع جمع اضطر الى أن يوقف هذا الأمر بعد أن أنكر عليه أئمة الحكام والمسلمين ذلك الأمر وثاروا ضده وعادت الخطبة مرة أخرى إلى الخليفة العباسى (٥٣) .

ولم يمض عام حتى واجه رضوان أطماع الصليبيين فى حلب ، فقد نجحوا فى عام ٤٩١هـ/١٠٩٨م أن يغيروا على البلاد ويعيثوا فيها فسادا مما ترتب عليه أن استولوا على معرة النعمان من أعمال حلب حينذاك فخافهم رضوان لعجزه عن دفعهم وصدهم فأضطر إلى أن يصالحهم بشروط مجحفة أثارت نفوس وغضب الأهالى وعلى رأسهم قاضى البلاد أبو الحسن بن يحى بن الخشاب لأنه كان من جملة الشروط حسبما ذكرها ابن الشحنه نقلا عن بن أبى طى فى مؤلفه عن تاريخ حلب أن يحمل إليهم رضوان كل عام قطيعة من المال والخيول وأن يعلق جرسا على قلعة حلب وأن يعلق صليبا على منارة المسجد الجامع. وعندما وجد رضوان معارضة قاضى البلاد وكان بيده زمام الأمور فى البلد على تعليق الصليب على منارة المسجد ويؤيده فى ذلك كثير من الأهالى اضطر إلى أن يراجع الصليبيين

فى ذلك الشرط حتى أذنوا له فى تعليقه على الكنيسة القائمة حينئذ ، وظل الصليب معلقا حتى عام ٥١٨هـ/١١٢٤م عندما نجح القاضى ابن الخشاب أن يحول أربع كنائس إلى مساجد ورمى الصليب(٥٤). أما بالنسبة للجرس المعلق على قلعة حلب.فيذكرابن الشحنة نقلا عن ابن البطلان فى بعض رسائله على حد قوله" كان بهذه القلعة جرس كالتنور العظيم معلقا على برج من أبراجها الغربية وكان الجرس يحركه ثلاث دفعات فى الليل دفعة فى أوله لأنقطاع الرجل عن السعى وأخرى فى وسطه للبديل وأخرى فى آخره للإعلام بالفجر"(٥٤*). وظل الجرس معلقا على حالته حتى عام ٥٨٧هـ/١١٩١م ثم وقع وانكسر، ويقول ابن الشحنة فى هذا الصدد نقلا عن ابن أبى طى "وإذا بوجبة عظيمة قد وقعت فى البلد وانجلت عن وقوع الجرس إلى الخندق وكسره وذلك فى سنة سبع وثمانين وخمس مائة فجدد بعد ذلك وعلق مرة ثانية فأنقطع لوقته وانكسر وبطل من ذلك اليوم " (٥٤+).

ويرى الباحث أنه لابد وأن ننكر هذه الرواية لأنها جاءت منفردة دون ذكرها فى المصادر الأخرى سواء المعاصرة أو المتأخرة زمنيا. وإذا كان ابن الشحنة قد سرد تفاصيل هذه الرواية مكتملة فهو نقلها عن اثنين من المؤرخين هما ابن البطلان وابن أبى طى وأن كل من هذين المؤرخين قد اختص بذكر جانب واحد فقط من جانبى الرواية، فابن البطلان ذكر وجود الجرس بينما ذكر ابن أبى طى سبب تعليقه على أحد أبراج القلعة فتكون المحصلة النهائية هى انفراد ابن الشحنة بذكر هذه الرواية. ومن جهة أخرى لم يوضح أى من المؤرخين سبب تمسك الصليبيين من تعليق الجرس على برج القلعة أو الفائدة التى قد تعود عليهم من وراء ذلك ومن جهة ثالثة لو افترضنا جدلا أن الجرس كان موجودا كما تزعم الرواية فلا يمكن أن يكون مستمرا فى التعليق أيام حكم المجاهدين العظام أمثال عماد

الدين زنكى ونورالدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبى فى الفترة الممتدة من ضم حلب إلى الجبهة الإسلامية على يد عماد الدين وحتى وفاة صلاح الدين (٥٢٢- ٥٨٩هـ/١١٢٨-١١٩٣م) وذلك لأن الجرس شعار للنصارى. وبذلك لايمكن أن يكون الجرس موجودا عام ٥٨٧هـ/١١٩٣م كما زعمت الرواية.

كيفما كان الأمر ، كانت حلب تتمتع فى كثير من فترات حكم رضوان سواء كانت فترات متقاربة أو متباعدة بشيء من الهدوء والأمن و عدم التعرض لهجوم الصليبيين عليها. وكان ذلك يتيح لرضوان أن يشارك فى مد يد العون لبعض حكام المدن الإسلامية المتضررة من هجمات الفرنج عليها ففى عام ٤٩٨هـ/١١٠٥م خرج رضوان على رأس جمع من جيشه يضم ما أمكنه جمعه من حلب وأعمالها والأحداث الموجودين بها. واتجه إلى طرابلس لمساعدة صاحبها فخر الملك بن عمار فى مواجهة الصليبيين النازلين على مدينة طرابلس (٥٥). وعلى الرغم أن الصليبيين أحرزوا انتصارات عندما التقى الفريقان فى معركة ضروس راح ضحيتها ما يقدر بثلاثة آلاف من المسلمين إلا أن الصليبيين لم ينسوا للحلبيين مشاركتهم مع أهل طرابلس فسرعان ما توجهوا بجيش كبير فى شعبان من ذات العام تجاه حلب فأجفل أهل المدينة لعمليات السلب والنهب التى قام بها الصليبيون فى البلد حتى اضطربت أحوالها وأحوال بلاد الشام بصفة عامه بعد الأمن والسكون الذى خيم على هذه النواحى (٥٦) .

وفى شهر رمضان عام ٤٩٩هـ/ يونيو ١١٠٦م عندما علم رضوان بهزيمة الفرنج عند شاطىء الفرات أمام جيش المسلمين بقيادة مودود صاحب الرها وسقمان القطبى صاحب أرمينية ونجم الدين ايلغازى بن ارتق

صاحب ماردين فقد انتهز فرصة أن بلاده تمر بفترة من الهدوء والاستقرارجمع قواته وخرج على رأسها من حلب ليتسلم أعمالها التى كان الفرنج قد استولوا عليها من قبل وأغار على أنطاكية وغنم منها رغم وجود هدنة مع صاحبها تنكريد وعندئذ قصد الصليبيون بقيادة تنكريد حلب من شرقيها فقتلوا وسبوا ونهبوا انتقاما مما فعله رضوان فى انطاكية ، ثم اتجهوا ناحية الآثارب واستولوا عليها. وعندما استفحل الموقف بين الطرفين الصليبى ورضوان دخلوا فى مفاوضات انتهت الى أن يدفع رضوان الى تنكريد عشرين ألف دينارا وعشرة رؤوس من الخيل وإطلاق سراح الأسرى الصليبيين. وقد شعرت حلب كثيرا بالضعف بأستيلاء الصليبيين على الأثارب لموقعها الأستراتيجى الهام بالنسبة لحلب (٥٧) .

ولاشك أن أهالى حلب قد ضاقوا ذرعا من جراء النكبات التى تحل بهم من حين لأخر، وقد بلغت القلوب الحناجر فى ظل وجود حاكم ضعيف مثل رضوان ففى عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م خرج وفد من أهالى حلب متجها إلى بغداد واستغاثوا فى أيام الجمع ومنعوا الخطباء من الخطبة مستصرخين بالعساكر الإسلامية على الفرنج. وقد وصل الضعف بحلب اقتصاديا عندما قلت الغلات واضطر رضوان أن يبيع فى العام الواحد ستين خربة من بلد حلب لأهلها بالثمن البخس حتى يستميلهم وأن يلتزموا بالمقام فى حلب ، هذا خلاف ماباعه رضوان فى غير ذلك اليوم من الأملاك. وقد اضطر رضوان الى هذا الإجراء عندما أدرك مدى احتياج بيت المال إلى أثمانها ، من ناحية ولعمارة حلب ببقاء أهلها فيها من ناحية أخرى(٥٨).

وجدير بالذكر، كان لصرخات واستغاثة أهل حلب وغيرهم من أهالى المدن الإسلامية الأخرى من شدة ضربات الصليبيين لهم رد فعل عند أولى

الأمر من القائمين على الحكم . ففى العشر أيام التانية من شهر شوال عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م. أمر السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه كل من شرف الدولة مودود أمير الموصل وسقمان القطبى صاحب ميافارقين وأرمينية ونجم الدين غازى بن أرتق بالمسيرعلى رأس جيش كبير لحصار الرها وتخليصها من أيدى الصليبيين. ولكن لما أدرك هؤلاء القادة الثلاثة صعوبة تحقيق أهدافهم اضطروا إلى رفع الحصار عن الرها واتجهوا إلى تل باشر وحاصروها لمدة خمسة وأربعين يوما حتى أوشكت على السقوط فى أيديهم ولكنهم تلقوا نداءا من رضوان صاحب حلب لنجدة حلب بعد أن وصله خبر اقتراب قوات الصليبيين ناحية المدينة، فأضطر شرف الدولة مودود الى رفع الحصار عن تل باشر واتجه ناحية حلب. وعندما وصل إليها على رأس قواته فى ربيع الأول عام ٥٠٤هـ/ أغسطس ١١١١م قام رضوان بإغلاق أبواب حلب فى وجوههم(٥٩). وبقيت الأبواب مغلقة لمدة سبع عشره ليلة ، وأقام الناس ثلاث ليال لا يجدون شيئا يقتاتون به فكثرت اللصوص وخاف الأعيان على أنفسهم وساء تدبير رضوان للموقف عندما أخذ رهائن من أهل حلب إلى القلعة ورتب الجند وأحداث الباطنية والطائعين لحفظ الأسوار ومنع الحلبيين من الصعود إلى السور فأطلق العوام ألسنتهم بالسب له وتعييبه وتحدثوا بذلك فيما بينهم فأشتد خوفه من الرعية أن يسلموا البلد(٦٠) .

وهناك رواية أخرى حول إغلاق رضوان أبواب حلب أمام مودود يرويها أحد المؤرخين اللاتين المعاصرين وهو البرت دى اكس فيذكر أن مودودا قد جمع جيشا كبيرا قوامه مائتا ألف تحت زعامته وقيادة سقمان القطبى ونجم الدين ايلغازى وحاصروا تل باشر عام ٥٠٥هـ/١١١١م لمدة شهرين وعندما أدركوا عدم قدرتهم على الاستيلاء عليها رفعوا الحصار

عنها وأخذوا طريقهم تجاه أنطاكية على رأس مئة ألف مقاتل بينما عادت المائة ألف الأخرى إلى خراسان. وقد نجح جوسلين صاحب تل باشر وقواته فى تعقب هذا الجيش المتجه إلى خراسان وقتل منه عددا كبيرا واستولى على كثير من الغنائم والأسلاب بينما نجح الناجون من هذه المعركة فى الوصول إلى حلب وأخذوا يتوسلون إلى صاحبها رضوان أن يفتح لهم أبواب المدينة ليدخل زوجاتهم وأبنائهم الصغار وبناتهم ويكونوا تحت حمايته حتى تتضح نتيجة لقائهم ضد الصليبيين فى جولة أخرى ولكنه رفض بحجة أن بينه وبين تنكريد صاحب أنطاكية معاهدة سلام ووعدهم بأنه لن يتدخل فى تقديم المساعدات لأى من الجانبين الإسلامى والصليبى ولكى يبرهن على صدق نواياه قدم ابنه رهينة عندهم. ولكن يبدو أن قادة هذا الجيش الإسلامى قد أرادوا أن يستغلوا وجود الرهينة عندهم ليجبروا رضوان للرضوخ لطلباتهم فأرسلوا إليه يهددونه بمقتل ابنه وقطع رأسه إذا لم يقدم لهم المساعدة المطلوبة لحماية أبنائهم وبناتهم وأزواجهم لأن نتيجة الجولة القادمة ضد الصليبيين غير مضمونة لصالحهم . ولكن رفض رضوان للمرة الثانية أن يلبى طلباتهم بسبب الهدنة المبرمة مع صاحب أنطاكية فنفذ قادة الجيش تهديداتهم وقتلوا ابن الملك رضوان وقطعوا رأسه ثم تقدموا تجاه شيزر(٦١).

وبعقد دراسة مقارنة بين الروايتين فى ضوء المصادر الإسلامية والأجنبية من تفاصيل فى هذا الشأن نرى أن كلتا الروايتين تتشابهان فى المضمون مع اختلاف فى بعض التفاصيل. وأن الباحث يميل الى الأخذ بالرواية التى ذكرها ابن القلانسى لأن بقية المصادر الإسلامية الأخرى وبعض المصادر الأجنبية قد أيدتها وأكدت حدوثها فى الوقت الذى انفرد فيه المؤرخ اللاتينى ألبرت دى اكس بذكر روايته دون غيره من المصادر

الأجنبية الأخرى المعاصرة أو المتأخرة زمنيا. هذا إلى جانب أنه ربما لم يكن هناك خطر حقيقى يهدد حلب من قبل الصليبيين كما ادعى رضوان فى ندائه الموجه لمودود عندما كان محاصرا تل باشر فقال له على حد تعبير ابن العديم " اننى قد تلفت وأريد الخروج من حلب فبادروا إلى الرحيل " .ويكون ذلك قد تم بناء على اتفاق مسبق بين رضوان وأولى الأمر من الصليبيين حتى يضطر مودود ومن معه من القادة إلى فك الحصار المفروض على تل باشر وإزالة الخطر الذى كان يهدد بسقوطها فى أيدى المسلمين. ويكون ذلك فى مقابل فوائد جمة تعود عليه وعلى بلاده خاصة وأن من صفاته حب المال حبا جما كما وصفه ابن العديم (٦٢) كما كان يذكره المؤرخ اللاتينى ألبرت دى اكس "صديقنا وأخونا " (٦٣) ووصفه الصفدى "أنه ليس فى قلبه شفقة ولا رحمة على المسلمين وكان الفرنج يغيرون ويسبون من باب حلب ولايخرج اليهم "(٦٤) . كما وصفه أيضا سبط بن الجوزى " أنه غير محمود السيرة" (٦٥) . فكل هذه الصفات السيئة التى كان يتصف بها رضوان يمكن أن تجعله يتصرف بدون حكمة ولا تدبير وأن يتفق مع الصليبيين ضد مصالح المسلمين .

كيفما كان الأمر ، كان يؤخذ على رضوان من قبل الملوك والحكام المسلمين وأمراء البلاد الإسلامية المجاورة أنه كان يميل كل الميل إلى جماعة الإسماعيلية فأستمالهم وأظهر مذهبهم فى حلب وشايعهم وحفظ جانبهم وبنى لهم دار دعوة فى حلب بجانب الجاه العظيم الذى كانوا يعيشون فيه. ورغم أن الملوك كاتبوه فى شأنهم فلم يلتفت ولم يرجع عنهم (٦٦) . فلم يكن رضوان يعير اهتماما لتماسك المسلمين ووحدتهم بقدر ما كان يهتم بجامعة الإسماعيلية وشئونهم الخاصة (٦٧) حتى أصبحت حلب أشبه ما تكون بمدينة إسماعيلية (٦٨) ولعل ذلك مرجعه أن الملك رضوان

كان يستخدم خناجر جماعة الفداوية الإسماعيلية فى القضاء على أعدائه مقابل ما يمنحه من تسهيلات وخدمات إلى الدعوة الإسماعيلية (٦٩). وكان لهذه السياسة التى اتبعها رضوا ن رد فعل عنيف فى إيجاد نوع من الفتور والنفور بينه وبين جيرانه المسلمين(٧٠). ولكن يبدو أن رضوان قد أحس فى آواخر أيامه بالخطأ الكبير الذى ارتكبه فى حق المسلمين بتعاونه مع جماعة الإسماعيلية واحتضن دعوتهم وحماهم مما أثار السنيين عليه ولعل ذلك الشعور قد انتابه عندما تآمروا عليه وعملوا من أجل احتلال قلعة حلب نفسها . فكان للملك رضوان كاتب من الديلم (٧١) يسكن القلعة وقد عرض علية أبو طاهر الصائغ رئيس الدعوة الإسماعيلية فى الشام ونائبه أن يهيىء لهما ولرجالهما الجو من أجل الاستيلاء على القلعة فكان يصعد اليه كل يوم رجل أو رجلان أوأكثر فيرسلهم إلى داره القريبة من القلعة ويطلب منهم المكوث فى الغار الموجود بها، وظل على هذا الحال حتى بلغ عددهم ثلاثة وستين رجلا . ولما علم أبو سعد الأسبسلار وهو أحد الرجال المقربين من الكاتب الديلم بما حدث أخبر رضوان بحقيقة الأمر. وعندئذ توجه رضوان مع أبى سعد بالقوات اللازمة وهاجموا دار الكاتب وقبضوا عليه وقتلوه وأمروا رجال الإسماعيلية بالخروج من الغار والا سوف يتم هلاكهم عن آخرهم ، وقد أعطاهم الملك رضوان الأمان بشرط أن يخرجوا من حلب. ولما وصل هذا الخبر إلى بقية أفراد الإسماعيلية الموجودين فى حلب أخذوا يفرون خوفا من انتقام الملك رضوان منهم (٧٢). وكانت تلك المؤامرة من العوامل التى أدت إلى نفور رضوان من جميع الباطنية وظل يترقب الفرصة المواتية للتخلص منهم. وسرعان ما حانت هذه الفرصة فى عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م حينما اتهم الملك رضوان بالتآمر مع جماعة الأسماعيلية على قتل أحد تجار فارس الأثرياء عند مروره بتجارته من حلب على أن يقتسما الغنائم بينهما ولكن شاءت الأقدار أن يتغلب التاجر

الفارسى على مهاجميه. ولما عرف بواقع الحال ثارت حلب عليهم فيما يشبه مذبحة عامة واضطر رضوان إلى اظهار رضائه عن المذبحة ولكن بعض العناصر الإسماعيلية نجحت فى الأفلات منها (٧٣)

ولما توفى رضوان فى جمادى الآخر عام ٥٠٧هـ/ديسمبر ١١١٣م فقد الباطنية بالشام نصيرا لهم كان يشملهم بعطفه فضلا عن حمايتهم وتأييدهم فى حكم حلب. وبوفاته تكون قد انتهت مرحلة هامة فى تاريخ حلب عانى خلالها الأهالى من شدة المرارة والقسوة والتراخى فى الحكم وأبتدأت مرحلة أخرى جديدة تشرق بالأمل بتعيين ابنه آلب أرسلان خلفا له فى حكم حلب. وقد قيل أنه عند فحص خزانته وجدوا من العين والعروض والآلات والأوانى ما يقدر ثمنه بستمائة الف دينار (٧٤)

وكان آلب أرسلان يعرف بالأخرس لوجود تمتمه وحبسة فى كلامه ، وكان عمره ست عشرة عاما. وعندما تولى الحكم أمر بالقبض على جماعة من خواص أبيه فقتل بعضا منهم وأخذ مال البعض كما قبض على أخويه ملك شاه ومبارك وقتلهما (٧٥). ولكى يكتسب ود ورضاء أهالى حلب رفع عن كاهلهم الرسوم والمكوس التى كان قد فرضها عليهم والده (٧٦) . وكان المستولى على كافة الأمور حينئذ خادم أبيه يقال له لؤلؤ اليايا ، ولم يكن لآلب أرسلان فى السلطنة سوى اسمها(٧٧).

وجدير بالذكر ، كان أمر الإسماعيلية قد استفحل فى هذا الوقت فى حلب وكثراتباعهم ممن اعتنقوا المذهب الإسماعيلى وصار كل من أراد أن يحمى نفسه يلتجأ اليهم . فكتب إليه السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه يقول له " كان والدك يخالفنى فى أمرالباطنية وأنت ولدى فأحب أن تقتلهم "(٧٨).

وعندئذ استشار آلب أرسلان فى شأنهم فأشار عليه رئيس حلب نجم الدين هبة الله بن بديع وعلى لؤلؤ الخادم بقتل كل من فى حلب من جماعة الإسماعيلية وإغلاق باب دار الدعوة(٧٩) وابتدأت الخطة بالقبض على أبى طاهر الصائغ رئيس الباطنية فى حلب وعلى كبار رجاله فقتلهم كما قتلوا كل من يدين بهذا المذهب الإسماعيلى. فقبضوا على زهاء مائتى نفس منهم وألقى بهم فى سجون حلب ، وأخذت أموالهم كما رمى البعض الآخر من أعلى القلعة بينما استطاع عدد منهم الإفلات وتفرقوا فى البلاد(٨٠).

وكانت جماعة الإسماعيلية قد طلبت من آلب أرسلان أن يخصص قلعة الشريف لتكون مقرا لهم فأجابهم فى بداية الأمر على طلبهم. ولكن لما أنكر عليه ذلك الأمر القاضى أبو الحسن ابن الخشاب أخرجهم آلب أرسلان منها (٨١). وقد أدرك آلب أرسلان أمام الفوضى التى ضربت أطنابها أنحاء حلب إثر المذبحة التى راح ضحيتها مئات من جماعة الإسماعيلية أن مملكة حلب فى حاجة إلى من يديرها أحسن تدبير حتى تعود الأمور فيها إلى حالة من الاستقرار والأمان ، خاصة بعد أن أدرك عجز رئيس حلب عن حكم وإدارة البلاد فقبض عليه وسجنه ثم أطلق سراحه بعد أن قرر عليه مالا وأخرجه وأهله من حلب وسلم رئاسة حلب إلى إبراهيم الفراتى ثم كاتب ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق وطلب منه أن يصل إليه ليدبر أمر حلب والعسكر وينظر فى مصالحها فأجابه طغتكين إلى ذلك لكونه صبيا لايخافه الفرنج ولا رأى له. وعندئذ خرج آلب أرسلان فى خواصه وقصد دمشق وقضى بها أياما ثم سار إلى حلب فى أول شوال عام ٥٠٨هـ/ابريل ١١١٥م ومعه طغتكين وعسكره ولكن لما قضى طغتكين وقتا فى حلب ورأى فيها من سوء السيرة وفساد التدابير والفوضى مع التقصير فى حقه والإعراض عن مشورته عاد الى دمشق (٨٢) وساءت الأمور فى حلب

وانهمك آلب أرسلان فى المعاصى وساءت سيرته وخاف منه لؤلؤ الياياً فاتفق مع جماعة من أصحابه على الإيقاع به وقتله. وحين لاحت لهم الفرصة وثبوا عليه فقتلوه فى ذى الحجة عام ٥٠٨هـ /يونيو ١١١٦م فى داره بقلعة حلب. ولأنه كان سيىء السمعة مع عسكره ورعيته لم يتأسفوا عليه ولم يحزنوا عليه(٨٣).

وقام لؤلؤ الخادم بتنصيب أخا لآلب أرسلان عمره ست سنوات اسمه سلطان واستمر لؤلؤ فى تدبير أمور المملكة فى ظل ظروف سيئة قلت فيها الأموال وأصبحت الحاجة ماسة للصرف على الجند فباع لؤلؤ قرى كثيرة من حلب بواسطة قاضيها أبو غانم محمد بن هبة الله ، وتولى صرف أثمانها فى صالح القلعة والجند والبلد (٨٤). وازاء تلك الظروف الصعبة التى مرت بحلب كتب لؤلؤ الخادم الى السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه – على سبيل المغالطة – على حد تعبير ابن العديم يبذل تسليم حلب إليه فيطلب إرسال العساكر إليه. ولما اقتربت عساكر السلطان تجاه حلب تغيرت نية لؤلؤ الخادم عما كتب به إلى السلطان فكتب إلى ظهير الدين طغتكين يستصرخه ويطلب منه الحضور إلى حلب ليتسلمها على أن يعوضه من أعمال دمشق فبادر طغتكين إلى ذلك ووصل حلب ، ولما علمت عساكر السلطان بذلك أعرضوا عن حلب وساروا إلى حمص وتسلموها (٨٥) . ولم يمض لؤلؤ كثيرا إذ قتل عام ٥٠٩هـ/١١١٦م فأنتقل الحكم فى حلب إلى شمس الخواص ياروقتاش ثم من بعده إلى أبى المعالى بن الملحى الدمشقى أحد خدم الملك رضوان .ولما اشتدت هجمات الفرنج على حلب خاف أهلها وسلموا البلد إلى الأمير نجم الدين غازى بن أرتق صاحب ماردين ، وتكون بذلك قد انقرضت الدولة السلجوقية من حلب أعتبارا من عام٥٠٩هـ/١١١٦م .(٨٦).

وهكذا يكون قد أسدل الستار على فترة هامة فى تاريخ مدينة حلب عانت خلالها من الصراعات السياسية التى كانت بين بعض القبائل العربية من ناحية ؛ والأتراك السلاجقة من ناحية أخرى ، ثم من الأطماع الخارجية الممثلة فى الصليبيين بعد تواجدهم فى المنطقة من ناحية ثالثة ، ولكن سرعان مازالت كل هذه الصعاب بانضمام حلب الى جبهة الوحدة الإسلامية أيام رواد الوحدة عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبى.

هوامش البحث

(١) البنداري : تواريخ آل سلجوق ، تحقيق هوتسما ، ليدن ١٨٩٩ص٦-٧ ؛

المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره وعلق عليه محمد مصطفى زياده ، القاهرة ١٩٣٤،ج١ ق١ ص ٥٠-٦٠ راجع أيضا : Cambridge medieval history , Cambridge 1957,p.303

(٢) محمد الشيخ : الأمارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ، الاسكندرية ١٩٨٠ ص٤٩

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ص ١٠٤؛ ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، ج١ ص ٥ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ج١ ص ٧٢ ؛ ابن بطوطه : تحفة النظارفى غرائب لأمصار وعجائب الأسفار، بيروت(د.ت) ص ٥٢.

(٤) ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار،بيروت(د.ت) ص١٧٧ .

(٥) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحى زكريا عباده ، دمشق ١٩٩١ ج١ق١ ص٥٥؛ابن الشحنه: الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدروي دمشق ١٩٨٤ ص٢٧.

(٦) ابن بطوطه : المصدر السابق ص ٥٢ .

(٧) المصدر السابق ص ٣٢-٣٣.

(٨)ابن شداد : المصدر السابق ج١ ق١ ص٥٣-٥٤؛القزوينى: المصدر السابق،ج١

ص٧٢؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ص ٥٣؛ابن الشحنه: المصدر السابق ص١٥ ،٢٦.

(٨+) أبو الفدا : اليواقيت والضرب فى تاريخ حلب ج١ ص١.

(٩) ابن شداد : المصدر السابق ج١ ق١ صفحات ٦٩، ٧١ -٧٢؛ ابن العديم:المصدر السابق،ج١ ص٥-٦ ؛ ابن الشحنه:المصدر السابق ص٣٩؛ أبو الفدا : المصدر السابق ج١ ص١.

(١٠) ابن الشحنه : المصدر السابق ص ٣٩.

(١١) يرجع نسب بنى مرداس إلى بنى كلاب القيسية. وبنو كلاب هؤلاء بطن من بطون ربيعة بن عامر بن صعصعه بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصورين خصفه بن قيس أى أنهم من العرب المضرية. وقد نزح بنو كلاب إلى بلاد الشام أوائل القرن الرابع الهجرى(العاشر الميلادى) وأخذوا يشاركون فى أحداث بلاد شمال الشام التى أسفرت عن إقامة إمارة لهم فى حلب على يصالح بن مرداس عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م ثم تولى من بعده بنوه الذين توارثوا تلك

الإمارة أكثر من نصف قرن من الزمان (٤٢٩-٤٧٢هـ/١٠٢٩-١٠٧٩م). فتولى شبل الدولة نصر ين صالح بعد وفاة أبيه صالح بن مرداس عام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م وظل بالحكم حتى مات عام ٤٢٩هـ/١٠٣٨م ثم تولى معز الدولة ثماله بن صالح

لمدة أربعة وعشرين عاما وتولى بعده عطية بن صالح عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م ثم

جاء يعده ابن أخيه محمود بن نصر بن صالح (٤٥٧-٤٧٦هـ/١٠٦٥-١٠٧٤م)

ثم تولى نصر بن محمود لمدة عام واحد ثم تولى آخر أمراء حلب وهو سابق بن

محمود (٤٦٨-٤٧٢هـ/١٠٧٦-١٠٧٩م) لمزيد من التفاصيل راجع محمد الشيخ:

المرجع السابق ص ٢١- ١٥٢.

(١٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ص ٩٨ ؛ النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، تحقيق محمد فوزى العنتيل، القاهرة ١٩٨٥ج٢٦ص٣١٢.

وقد حدد ابن القلانسى عام ٤٦٣هـ/١٠٧١ تاريخا لهذه الواقعة .

(١٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج٥ ص٦٩؛النويرى:المصدر السابق ج٢٦ ص ٣١٢.

(١٤) الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الفتح بن على محمد البندارى، بيروت ١٩٧٨ص ٧١؛ ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب، ج١ص٦٦.

(١٥) الأصفهانى : المصدر السابق ص٧١؛ابن العديم:المصدر السابق ج١ص٦٧.

(١٦) هو أبو المكارم مسلم بن قريش الملقب شرف الدولة، ولد ٢٣رجب عام٤٣٢ه

وكان من الرافضه وتولى إمارة بنى عقيل عام ٤٥٣هـ/١٠٦٢م وكان قد طمع فى الاستيلاء على بغداد بعد وفاة السلطان طغرلبك السلجوقى ثم رجع عن ذلك واستولى على ديار ربيعة ومضر. وكانت سيرته من أحسن السير وأعدلها وكانت الطرقات آمنة فى عهده وكان مقتله ١٥صفرعام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م على

باب أنطاكية فى حلب فى إحدى المعارك التى دارت بينه وبين سليمان بن قتلمش. وحاول أن يستولى على دمشق ولكنه أخفق فى ذلك .راجع:ابن خلكان المصدر السابق ج٥ ص٢٦٧؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ج١٨ص٤٨٢.

(١٧) ابن القلانسى : المصدر السابق،ص١١٢؛ ابن العديم :المصدر السابق ج١ ص ٦٧ .

(١٨) **Grousset, R., Histoire des croisades, paris 1934, t.1,p.xlix**

(١٩) ابن الأثير :الكامل فى التاريخ ج٤ ص٣١٢؛ تاريخ الإسلام ج٧ص ٢٨٧؛

النويرى: المصدر السابق ج٢٧ص٦٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص١٤٦؛ الصفدى : الوافى بالوفيات ح٣ص٤٥٦ .

والأفسيس هو اتسز بن آوق ، وعند الذهبى آبق، وهو أحد القادة الأتراك من أتباع السلطان آلب أرسلان ثم أصبح من أمراء السلطان ملكشاه. وكان مقتله على يد تاج الدولة تتش فى ربيع الأول عام ٤٧١هـ/ اكتوبر ١٠٧٨م راجع ابن القلانسى: المصدر السابق ص٩٨-٩٩؛ الذهبى : تاريخ الإسلام ج٧ ص٢٨٧.

(٢٠) ابن الأثير: المصدر السابق ج ٤ ص ٣١٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ج١ص٧٠.والأحداث هم رجال الشرطة أو رجال الحرس الإقليمى راجع:محمد الشيخ :الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، الأسكندرية ١٩٧٤ ص١٧ ح١.

(٢١) الذهبى : المصدر السابق ، ج٧ ص ٢٨٧.

(٢٢) ابن العديم : المصدر السابق ج١ ص٧٤.

(٢٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج١ ص٢٨٢.

(٢٤) ابن العديم: المصدر السابق ج١ ص٧٤.

(٢٥) ابن الأثير: المصدر السابق ج٤ص٣٢٢،٣٢٠؛ الذهبى : المصدر السابق ج٧ص٤٩١ .

(٢٦) ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ج١ص٥؛ابن شداد:المصدر السابق ج٧ ص٦٤.

(٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق ج٤ ص٣٢٢.

(٢٨) ابن العديم :زبدة الحلب ج١ص٧٥؛ الذهبى: المصدر السابق ج٧ص٤٩١.

(٢٩) ابن كثير : المصدر السابق ج٢ص١٦٠؛الذهبى: المصدر السابق ج٧ص٢٨٩.

(٣٠) ابن الأثير : المصدر السابق ج٤ص٣٢٢؛ابن العديم : المصدر السابق ج١ص ٧٥-٧٦؛ النويرى : المصدر السابق ج٢٦ ص٣٢٤-٣٢٥.

(٣١) ابن الأثير: المصدر السابق ج٤ص٣٢٢؛الذهبى:المصدر السابق ج٧ص٤٩١؛النويرى : المصدر السابق ج٢٦ص ٣٢٤- ٣٢٥.

وقسيم الدولة هو أبو سعيد آق سنقر عبد الله الملقب قسيم الدولة والمعروف بالحاجب ، وهو والد عماد الدين زنكى ، وكان مملوكا

عند السلطان ملكشاه وتربى معه فى الصغر واستمر فى صحبته حتى تولى السلطنة. ومات مقتولا بيد تاج الدولة تتش فى جمادى الأولى عام ٤٨٧هـ/مايو ١٠٩٤م ودفن فى حلب راجع :
ابن خلكان : المصدر السابق ج١ص٢٤١؛ النويرى :المصدر السابق ج٢٧ ص ٣٩٠ .

(٣٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ص١١٩؛ الراوندى: راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة من الفارسية إبراهيم الشواربى وعبد النعيم حسنين، القاهرة ٢٠٠٥ ص٢٠٣؛ ابن العديم: المصدر السابق ج١ص٧٦؛ الذهبى المصدر السابق ج٧ ص٣٩٠.

(٣٣) ابن العديم : المصدر السابق ج١ص٧٦.

(٣٤) ابن القلانسى :المصدر السابق ص١٢٠ ؛ ابن الأثير:المصدر السابق ج٤ص٣٢٩.

(٣٥) ابن الأثير: المصدر السابق ج٤ص٣٣٩؛ ابن العديم:المصدر السا بق ج١ ص٧٧

(٣٦) ابن القلانسى: المصدر السابق ص١١٩؛ النويرى: المصدر السابق ج٢٧ ص ١١٦.

(٣٧) الذهبى العبر فى خبر من غبر ج١ ص٢٢٦.

(٣٨) ابن الأثير : المصدر السابق ج٤ص٣٤٤؛ ابن العديم : المصدر السابق ج١ ص٧٨؛ الذهبى: المصدر السابق ج١ص٢٢٥-٢٢٦ ابن شداد:المصدر السابق ج٣ص٣٩٤ ،٤٠٢؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٧ص٣٥٤؛ النويرى: المصدر السابق ج٢٧ص٦٨.(٣٩) ابن الأثير: المصدر السابق ج٤ ص٣٤٨؛ابن العديم :المصدر السابق ج١ ص٧٧-٧٨؛ الذهبى: تاريخ الإسلام ج٧ص٣٥٤؛ النويرى:

المصدر السابق ج٢٧ص٦٦-٦٨؛ أبو الفدا:المصدر السابق
ج١ ص ٢٨٨.ويذكر ابن الأثير أن سبب انفصال قسيم الدولة وبوزان عن تتش هو تقريب الأخير من ياغى سيان وميله إليه ولأن تتش لم يولهما شيئا من البلاد التى فتحها. راجع المصدر السابق ج١ ص٧٨.

(٤٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ص١٢٦-١٢٧.

(٤١) كان بركياروق أكبر أبناء السلطان ملكشاه عند وفاته وكان يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما ، وقد عهد إليه أبوه بولاية العهد ولكن بعد أن مات السلطان ملكشاه أسرعت ارملته تركان خاتون وطلبت من الخليفة العباسى أن يجعل الخطبة باسم ابنها محمود بن ملكشاه ولكنه أبى ذلك بحجة صغر سنه. ولكنها لم تيئس وظلت تتقرب من الأمير العباسى جعفر ابن الخليفة وتبذل الأموال

الطائلة وتستمر فى الإلحاح على الخليفة حتى وافق فى النهاية على إقامة

الخطبة لولدها . ولما دارت الحرب بين تتش وبركياروق وعجز الأخير عن

مقاومة جيوش عمه تتش اعترف بولاية أخيه محمود ولكن لم يمض أسبوع

حتى مات محمود فأحضروا بركياروق وأجلسوه على كرسى السلطنة عام

٤٨٧هـ/١٠٩٤م راجع الراوندى : المصدر السابق ص٢١٥-٢١٩.

(٤٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ج١١ص٣٥؛ ابن العديم: المصدر السابق ج١ص٧٧-٧٩؛ الذهبى:العبر فى خبر من غبر ج١ص٢٢٦-٢٢٧.

(٤٣) الذهبى: تاريخ الإسلام ج٧ص٣٥٥ . ويذكر ابن القلانسى فى كتابه ص١٣٠

أن مقتل تاج الدولة تتش كان على يد بعض أصحاب قسيم الدولةأخذا يثأره.

(٤٤) ابن الأثير : المصدر السابق ج٤ص٣٥٢؛ ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ج١ص١١٩؛ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ج١ص٢٢٥ اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان ج١ص٤٦٥؛ الصفدى :المصدر السابق ج٤ص٤٥٩

(٤٥) ابن الأثير: المصدر السابق ج٤ص٣٥٢؛ ابن العديم:زبدة الحلب ج١ص٧٩ وكان جناح الدولة حسين صاحب حمص قد جعله تتش أتابكا لابنه رضوان حيث كان يدير أمره وهو صبى. وقد تزوج جناح الدولة من أم رضوان ، وقد تغيرت نية رضوان تجاه جناح الدولة وقامت بينهما وحشة أدت لهروب الأخيرإلى حمص ومعه زوجته. وكان مقتله على يد جماعة إسماعيلية الشام فى رجب٤٩٦هـ/١١٠٣م راجع ابن العديم : المصدر السابق ح١ ص ٧٩.

(٤٦) ابن الأثير :المصدر السابق ج٤ص٣٥٢،٣٥٩؛ أبو الفدا:المصدر السابق ج١ص٢٩٠؛ النويرى: المصدر السابق ج٢٧ص٧٠.

(٤٧) ابن عساكر: المصدر السابق ج١٧ص٣٠٤، ابن الأثير: المصدر السابق ج٤ص٣٥٣؛ ابن العديم: المصدر السابق ج١ص٨٠؛الصفدى: المصدر السابق ج٤ ص٤٢٧.

(٤٨)ابن القلانسى : المصدر السابق ص١٣٣؛ ابن الأثير: المصدر السابق ج٤ص٣٥٣؛ ابن العديم : المصدر السابق ج١ص٨٠؛أبو الفدا:المصدر السابق ج١ص٢٩٠؛ النويرى: المصدر السابق ج٢٧ص٧١؛ اليافعى :المصدر السابق ج١ص٤٦٥؛الصفدى:المصدر السابق ج٤ ص ٤٢٧.

(٤٩) النويرى : المصدر السابق ج٢٧ ص ٧١.

(٥٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ١٣١.

(٥١)ابن الأثير : المصدر السابق ج٤ص٣٥٩ ؛النويرى: المصدر السابق ج٢٧ ص ٧٢.

(٥٢)ابن الأثير: المصدر السابق ج٤ص٣٥٩؛ ابن العديم: المصدر السابق ج١ص٨١؛ النويرى: المصدر السابق ج٢٧ص٧٢أبو الفدا: المصدر السابق ج١ص٢٩٢؛ اليافعى: المصدر السابق ج١ص٤٦٧ راجع ايضا:
Grousset, op. cit., t. 1, p. 72.

(٥٣) ابن القلانسى: المصدر السابق ص١٣٣؛ ابن عساكر:المصدر السابق ج١٨ ص١١٥٣؛ ابن العديم: بغية الطلب ج٣ص٥٠٠؛ النويرى: المصدر السابق ج٢٧ص٧٢؛ اتعاظ الحنفا فى أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق محمد حلمى أحمد،القاهرة١٩٧٣،ج٣ ص١٩؛ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ،ج٢ص٣٥؛الذهبى: تاريخ الأسلام ج٧ص٣٥٧؛اليافعى: المصدر السابق ج١ ص٤٦٧ ويذكر ابن الأثيران رضوان خطب للخليفة الفاطمى بجميع أعمال حلب سوىانطاكية وحلب ومعرة النعمان راجع ج٤ ص٣٥٩.

(٥٤) ابن الشحنه: المصدر السابق ص٧٧.

(٥٤*) ابن الشحنة: المصدر السابق ص٧٧.

(٥٤+) ابن الشحنة : المصدر السابق ص٧٨

(٥٥) ابن القلانسى: المصدر السابق ص١٤٨. لم نعثر بالقواميس العربية عن تفسيرلكلمة " وجبة" الوارد ذكرها فى النص بما يتفق مع معنى حادثة وقوع الجرس وانكساره. ولذا فالمرجح أن يكون هناك خطأ مطبعى فى كتابة هذه الكلمة قد فات على المحقق ولم ينتبه اليه وتكون الكلمة المقصودة هى " رجفة" وليس "وجبة" ويقصد من ورائها وقوع هزة عنيفة

(٥٦) ابن القلانسى : نفس المصدر والصفحة ؛ابن العديم:المصدر السابق ج١ ص٨٦-٨٧.

(٥٧) ابن العديم: المصدر السابق ج١ص٨٨راجع ايضا:

Albert d Aix,Historia IErosolimitana,edited and translated in to English by Susan, B., oxford 2007, pp.703-705.

(٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ج١ ص٨٨.

(٥٩) ابن القلانسى : المصدر السابق ص١٦٩-١٧٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق

ج٤ ص٤٢٩، ابن العديم : المصدر السابق ج١ص٨٨ راجع ايضا:

Foulcher of charter,A history of the expedition to Jerusalem,

Translated in to engiish by france Rita,

Oxford 1969,p.201 Cf also Grousset ,op cit t.I p.264-265; Cahen C., The Turkish invasion : the selchukids Cf A history of thecrusades , edited by Setton,M., (pp.135-176) ,Philadelphia

1958, t.Ivp.174.

وقد ذكر الذهبى هذه الحادثة ضمن أحداث عام ٥٠٥هـ/١١١١م

راجع تاريخ الإسلام ج٨ ص١٩ .

(٦٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ص١٧٥؛ابن العديم: المصدر السابق ج١ ص٨٨ -٨٩ .

(٦١) **Albert dAix,op.cit.p.813.**

(٦٢) المصدر السابق ج١ ص٨٨-٨٩.

(٦٣) **Ibid,p.249.**

(٦٤) سبط ابن الجوزى: المصدر السابق ج٨ ق١ ص٤٦؛المصدر السابق ج٤ص٤

(٦٥) المصدر السابق ج٨ ق١ ص٤٦.

(٦٦) ابن العديم : المصدر السابق ج١ ص٨٥.

(٦٧) Harold,S.,The foundation of the latin states (1098-1118) Cf

Setton,op.cit.t.I,p.388

(٦٨) Grousset,op.cit.,t.Ip.479.

طائفة الإسماعيلية فرع قائم بذاته من الشيعة، ينسبون أنفسهم إلى إسماعيل بن
جعفر الصادق. وكانت جماعة الإسماعيلية تمتلك حصونا عديدة فى بلاد الشام
أهمها حصن مصياف الذى كان مقرا لزعيمهم الذى كان يطلق عليه لقب شيخ
الجبل اعتبارا من عام ٥٥٧هـ/١١٦١م أيام راشد الدين سنان أول شيخ جبل فى
الشام. وكان الوصول إلى هذا المنصب بالاختيار وكانت جماعته يقدمون إليه
الطاعة العمياء لكل أمر يصدر إليهم. وقد عرفت هذه الجماعة باسم الحشيشية
لتناولهم مخدر الحشيش وعرفت كذلك بأسماء عديدة أخرى أهمها الباطنية.

وكان زعيمهم فى فارس فى الفترة موضوع البحث هو الحسن بن الصباح

الذى اتخذ من قلعة الموت فى الشمال الغربى من قزوين مركزا لنشر دعوته.

وكانت جماعة الإسماعيلية تشكل خطرا كبيرا على السلاجقة. وقد رتب الحسن

ابن الصباح جماعته إلى عدة مراتب أهمها " الفداويه" التى قصر مهمتها على

حمل السلاح لما اشتهروا بقوتهم الجسمانية. وقد أنشأ لهم الحسن بن الصباح

حدائق غناء وأوهم اتباعه بأنه قادر على ادخالهم الجنة اذا نفذوا اوامره لمزيد

من التفاصيل راجع: **William of Tyre, A history of deeds done beyond the sea , translated in to English by Emily Atwater ,New york,1976 t.p.391 Cf also Michaud , A history of the crusades, London 1852, t.III,p.422; Maimbourg , Histoire des croisades,4 vols,paris 1934,p.29.**

ومن المصادر والمراجع العربية راجع :

ابن الجوزى: تلبيس ابليس ،القاهرة ١٩٢٨ ص١١١؛ الشهرستانى:الملل

والنحل،القاهرة١٩٤٥ج١ص٢٣٣ انظر ايضا عمر أبو النصر:قلعة الموت

بيروت ١٩٧٠ ص١٢٤؛ اسامة زيد:الصليبيون وإسماعيلية الشام،اسكندرية

١٩٨٠ص٥٩ ،٦٢، ٨٢ -٨٧ .

(٦٩) محمد راغب الطباخ،أعلام النبلاء فى تـــاريخ حلـــب الـــشهباء،حلب ١٩٢٣ ج١

ص٣٨٨ انظر أيضا :

Grousset , op.cit.,t.I,p.387; Defremery ,M., Nouvelles recherches sur le Ismaeliens de Syrie Cf Journal Asiatique
5em series 1855,t.v,p.76.

Stevenson ,W, The crusaders in the East , Cambridge 1907,p.75. (٧٠)

(٧١) الديلم هم جماعة من أهل الكفريقال أنهم من بنى ضبه وهى طائفـــة تسكن فى= بلاد يحدها من الجنوب بحر قزوين وشيئا من أذربيجان وجانبا من الرى.

ويفصل بينهما من جهة الشرق بقية الرى وطبرستان. ويتصل بهـــا مـــن الشمال بحر الخزر ومن الجنوب أذربيجان انظـــر: الأصـــطخرى:المـــسالك والممالك ، ليدن ١٩٢٧ص٢٠٣؛ القزوينى: المصدر السابق ص٢١١.

(٧٢) ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، تحقيق حسن محمد الشماع-٣ج- ،البصره ١٩٦٧- ١٩٧٠ ج١ ص٧١.

(٧٣) أسامة زيد : المرجع السابق ص ١٤٢.

(٧٤) ابن القلانسى: المصدر السابق ص١٨٩.

(٧٥) ابن القلانسى: نفس المصدر والصفحة ؛ابن الأثير: المصدر الـــسابق ج٤

ص٤٣٢؛ ابن العديم: المصدر السابق ج١ص٩٠؛الذهبى:

العبر فى خبر من غبر ج١ ص ٢٣٧.

(٧٦) ابن العديم : المصدر السابق ج١ ص ٩٠ .

(٧٧) ابن العديم: نفس المصدر والصفحة؛ النويرى : المصدر السابق ج٢٧ص٢١٧

أبو الفدا: المصدر السابق ج١ص٣٠٣؛ابن كثير:المصدر السابق ج١٢ص٢١٧.

(٧٨) ابن العديم : المصدر السابق ج١ص٩٠ .

(٧٩) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ج٨ ق١ ص٤٧.

(٨٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ص١٨٩-١٩٠؛ ابن الأثير:المصدر السابق ج٤ ص٤٣٢؛ سبط ابن الجوزى :المصدر السابق ج٨ ق١ ص ٤٦-٤٧. راجع أيضا :

Grousset,op.cit t.Ip.479 ; Defremery, op.cit,p.398.

(٨١)ابن شداد:المصدر السابق ص٦٥ ؛ابن الشحنة: المصدر السابق ص٣٥.

(٨٢) ابن العديم : المصدر السابق ج١ ص٩١.

(٨٣) ابن القلانسى : المصدر السابق ج١ص١٩١؛ ابن العديم: المصدر السابق ج١ ص٩١؛ سبط بن الجوزى:المصدر السابق ج٨ ق١ ص ٥٢.

(٨٤) ابن العديم : المصدر السابق ج١ ص٩١.

(٨٥) ابن العديم : نفس المصدر والصفحة.

(٨٦) ابن العديم :المصدر السابق ج١ص٩٢؛النويرى:المصدر السابق ج٢٧ ص٧٥ -٧٦.

* قائمة المصادر والمراجع *

أولا : المصادر العربية :

ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٤م) أبو الحسن أبى الكرم الملقب عز الدين: الكامل فى التاريخ.

ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) أبوعبد الله محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة المسماه " تحفة النظار فى غرائب الأمصاروعجائب الأسفار ، بيروت (د .ت).

ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة.

ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسى : رحلة ابن جبير المعروفة باسم " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفاربيروت (د. ت) .

ابن الجوزى "سبط" (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٧م) أبو المظفر شمس الدين يوسف : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيا ن ، حيدرأباد بالهند ،١٩٥١ج٨ق١.

ابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ/١٢٥٢م) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن : تلبيس إبليس ، القاهرة ١٩٢٨.

ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم :وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .

ابن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) عز الدين محمد بن على بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة .

ابن الشحنه (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م) أبو الفضل بن محمد بن الشحن' الحلبى
الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، تقديم عبد الله بن الدرويش.
دمشق ١٩٨٤ .

ابن العديم (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) كمال الدين أبى حفص عمر بن أحمد:
زبدة الحلب فى تاريخ حلب . بغية الطلب فى تاريخ حلب

ابن الفرات (ت ٩٠٧هـ/١٥٠١م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على: تاريخ الدول والملوك ، تحقيق د .حسن الشماع ٣ج ، البصره ١٩٦٧ - ١٩٧٠.

ابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسعد بن على بن محمود: ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

*المصادر التى لايذكر أمامها مكان وتاريخ النشرليست مصادر ورقية وانما مأخوذة

من الموقع الإلكترونى التالى: www.alwarraq.com

ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمرو القرشى:

البداية والنهاية فى التاريخ.

أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن على:

المختصر فى أخبار البشر.

اليواقيت والضرب فى تاريخ حلب .

الأصفهانى (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) عماد الدين بن محمد حامد :
تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الشيخ الفتح بن على بن محمد البندارى، بيروت ١٩٧٨.

البنداري (ت٦٤٢هـ/١٢٤٥م) الفتح بن على بن محمد بن على : مختصر تواريخ آل سلجوق ، تحقيق هوتسما ، ليدن ١٨٨٩ .

الذهبى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام.

سير أعلام النبلاء العبر فى خبر من غبر.

الشهرستانى (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) محمد ين عبد الكريم :الملل والنحل، ٣ج ،القاهرة ١٩٤٨ .

الصفدى (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) صلاح الدين أبو الصفا خليل بن الدين أيبك: الوافى بالوفيات .

الاصطخرى (عاش فى القرن الرابع الهجرى/ القرن العاشر الميلادى) أبو إسحاق :

المسالك والممالك، ليدن ١٩٢٧ .

القزوينى (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣) أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود : أثار البلاد وأخبار العباد

المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تقى الدين أحمد بن على :السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشره وعلق عليه محمد مصطفى زيادة ،

القاهره ١٩٣٤ ج١ ق١ . اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج٣ تحقيق د.محمد حلمى أحمد القاهرة ١٩٧٣.

النويرى (ت٧٣٣هـ/١٣٣٤م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد: نهاية الأرب فى فنون الأدب ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٨٥ ج ٢٦ ، ٢٧ .

اليافعى (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٢م) أبو محمد عبد الله بن أسعد على بن سليمان: مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان.

ياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان.

ثانيا: المصادر الأجنبية

Albert d Aix , historia Ierosolimitana , edited and translated in to

English by Suzan, B., oxford 2007.

Foulcher of charter , A history of the expedition to Jerusalem.

Translated from the original by

france rita ,

Oxford 1969 .

William of Tyre , A history of deeds done beyond the sea ,

Translated in to English by Atwater , Columbia 1941 .

ثالثا: المراجع العربية :

أسامة زكى زيد (الدكتور) الصليبيون وإسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية الأسكندرية ١٩٨٠ .

محمد مرسى الشيخ (الدكتور)الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها(١٠٩٧ – ١١٤٤م) الإمارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ، الأسكندرية ١٩٨٠ .

محمد راغب الطباخ الحلبى :أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء ، حلب ١٩٢٣.

عمر أبو النصر :قلعة الموت " الحسن بن الصباح " بيروت ١٩٧٠.

رابعا : المراجع الأجنبية

Cahen ,C., The Turkish invasion : the selchukids ,cf A history Of the crusades , edited by Setton,M.,(pp135-176), Philadelphia 1958 t.I.

Cambridge medieval history , Cambridge 1957 .

Defremery ,M., Nouvelles Recherches sur ies Ismaeliens de Syrie. Cf Journal Asiatique 5em series ,t.v, 1855 (pp. 5-75).

Grousset ,R., Histoire des croisades 3 vols ,paris 1934-36.

Harolds,S., The foundation of the latin states(1098-1118). Cf. Setton,M., A History of the crusades (pp.135-176), Philadelphia 1958.

Maimbourg ,P., Histoire des croisades, 4 vols, paris 1934-1935.

Michaud,M., A history of the crusades,translatedfrom French by Robson,W., 3 vols,London1852.

Stevenson.W., The crusaders in the East, London 1907 .